

The relational reality between Islamic and Western civilization Reading in the vision of Abi al-Hasan al-Nadawi

Dr. Diafi Noureddine¹ Dr. Chalabi Nabila²

¹University of Batna1 (Algeria), diafnour@yahoo.com

²University of Batna1 (Algeria), nabilachala@yahoo.com

Received: 06/2023, Published: 06/2023

Abstract:

The content of this study revolves around the nature of the relationship established by the vision of the Islamic thinker Abi al-Hasan al-Nadawi. Both of them were presented in a fair, critical spirit that did not contain bias or falsification, and thus presented the reality of the crises that Western civilization suffers from, despite its possession of the means of material strength. With a correct approach that seeks to include the human family, united by human elements, and whose members live in the shade of justice and equality, and reject all corruption and injustice.

Keywords: civilization; the West; curriculum; seminar; vision.

الواقع العلاقي بين الحضارة الإسلامية والغربية

—قراءة في رؤية أبي الحسن الندوي—

د. نورالدين ضيافي¹

د. نبيلة شالبي²

¹جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، diafnour@yahoo.com

²جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر)، nabilachala@yahoo.com

الملخص:

يتمحور مضمون هذه الدراسة حول طبيعة العلاقة التي تؤسسها رؤية المفكر الإسلامي أبي الحسن الندوي وقد اتسمت هذه بنيت هذه الرؤية بتؤدة وروية ودراسة عميقة للحضارتين الإسلامية والغربية ابتداء من محطات تاريخية، ومتبعة في ذلك التطورات التي طرأت على كلا منهما مشخصة أزماقهما، ومبرزة للعلاقة المتذبذبة بينهما فكلاهما عرضتا بروح نقدية عادلة لم يكن فيها انحياز ولا تزييف، وتعرض بذلك حقيقة ما تعانيه الحضارة الغربية من أزماق رغم امتلاكها أسباب القوة المادية، فقد وقف عليها مشرحا إياها منبها على مخاطرها سيما استعانتها أخيرا بإسرائيل الذي عدّه الخطر الداهم على الإنسانية، وتثمر أخيرا رؤيته بمنهج قويم يسعى لشمّل الأسرة الإنسانية تجمعها المقومات الإنسانية ويعيش أفرادها في ظل العدل والمساواة ونبد كل فساد وظلم.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، الغرب، المنهج، الندوي، الرؤية.

مقدمة

للإنسانية روابط تجمعها ومشتراكات تتألف بما فيما بينها، فإن لم يكن رابط الدين والعقيدة التي تتضمنها الرسائل السماوية الأصلية التي لم تعزبها تزييف الأيدي البشرية، فالروابط العامة أو المشتركة الإنسانية من أبرز ما يحمل الإنسان أن يحترم نظيره الإنسان ويقدر وجوده، ويحقق المقومات التي تنشئ الجو القيمي والأخلاق التي في ظله يكون التعايش والمساواة والعدالة... فلا استعباد ولا طغيان ولا ظلم حينها، وجملة هذا كله لخصتها بلاغة الإمام علي رضي الله عنه في قوله: "الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق...".

لكن التاريخ في مجريات لم يحظى بأن يحقق مثل هكذا من التأخي والترابط بين أعضاء الأسرة الإنسانية، بل ظل يتقلب كل حين متأرجحا بين التنافر والتشاحن، والعلو وحب السيادة ومحاولات الاستعباد والظلم وغياب العدالة سيما بين الحضارة الإسلامية حاملة الدين الخاتم والرسالة الدائمة وبين الحضارة الغربية.

وعلى هذا فقد بدت في مسرح الفكر رؤى من كلا الطرفين اتسمت تارة بالنزاهة وتارة أخرى بالتزييف والدجل ومحاولة الانتصار للانتماءات وترسيخ للسيادة وتثبيت للتبعية والعبودية لم تسعف بني الإنسان ولم تخرجه من أزوماته بالبتة، وشأننا هنا تناول الحضارة الغربية في ظل رؤية فكرية إسلامية لنستوضح منهجها في التعامل مع الحضارة الغربية ما زين بماهيمتها في فكره، ومعرّجين بموقف العالم الإسلامي منها، والتي تجلت في رؤية أبي الحسن علي الحسيني الندوي.

المحور الأول: الحضارتين -الإسلامية والغربية- في ظل الأزومات

أولا: أزومات الحضارة الإسلامية

نالت الحضارة الإسلامية هي الأخرى كنهيرتها الغربية من النقد والوقوف على جذور أزوماتها منذ أمد بعيد ابتداء في نظرته من انقلاب الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض بقيادة الدولة الأموية، وتلتها في ذلك الدولة العباسية إلى الدولة العثمانية وهنا تحددت الأزمة السياسية وما انجر عنها من تضعضع في صرح المقومات والأسس الحضارية التي ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة وأوصى بها.

وأهم الإرهاصات التي مهدت للوقوع في الأزمة انقسام الأمة الإسلامية عن شخصتها القرآنية وعدم قدرتها على الحفاظ على "الأمة" بالتصور القرآني ومقوماته، لأن "الأمة" في الاستعمالات القرآنية تقود إلى الوظيفة الحضارية أو الخلافة التي تحقق معنى: "الرئاسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد وما يتعلق به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم"⁽¹⁾ وتحقيق أن مقاصد الإسلام وغاياته تدعو إلى إصلاح العلاقة وتنظيمها وتقويتها بين العبد والمعبود، ثم توسيع نطاقها وتعميمها، ومحاولة سبك الحياة الإنسانية في فالبها، وتصحيح العلاقات وتطبيقها بين أفراد الجماعة وأعضائها، وتهيئة الجو والمناخ الصالح لحياة آمنة وادعة مطمئنة، مهذبة جميلة زاهية، تتوفر فيها الفرص الكاملة لأداء حقوق العباد ورب العباد، والبلوغ إلى غايات الكمال ومدارج الرقي والفضائل التي أودعت صلاحيتها في فطرة الإنسان⁽²⁾.

فمثل هذا التصور للخلافة غاب في الحكم الإسلامي بعد الخلافة الراشدة، فبرى الندوي أن رجال الحكومة حتى الحكام منهم لم يكونوا أمثلة كاملة في الدين والأخلاق، بل كان في كثير منهم عروق للجاهلية ونزعاتها، فسرت روحهم ونفسيهم في الحياة العامة والاجتماع، وأصبحوا أسوة للناس في أخلاقهم وعوائلهم وميولهم⁽³⁾، و«تمثلت العصية القبلية التي قمعها الإسلام، واقتحمت هذه القوى سياج الكبت، وفرضت نفسها على شعبة الحكم في الإسلام! ثم فرضت نفسها على شعب أخرى اجتماعية، واقتصادية، وخلقية...»⁽⁴⁾، فكانت منهم قيادات أساءت تمثيل الإسلام⁽⁵⁾ وقد استمرت المظالم التي انجرت من هذا الفساد الذي من الحكومات الإسلامية⁽⁶⁾ لتلي العقوبات وتتحقق السنن الإلهية ويخضع العالم الإسلامي قهرا لوحشية المغول، والوقوع بين فكي الحروب الصليبية التي مزقته وأرهقته وأوقفت محاولات نخضته الحضارية لزمان طويل كاد يفقد فيه الأمل بالانتصار من جديد واستعادة قواه⁽¹⁾.

¹: الشاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تحقيق: تقي الدين الندوي، تعريب: جاويد أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1434هـ، 2013م، 85/1.

²: ينظر: المصدر نفسه، مج2/606.

³: المصدر نفسه، ص122.

⁴: ينظر: محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، شركة نخضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط7، 2005م، ص12، 13.

⁵: الندوي، ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص123.

⁶: ينظر: الندوي، صلاح الدين الأيوبي البطل الناصر لدين الله، دار القلم، دمشق، ط3، 1400هـ، 1980م، ص11.

وإلى جانب هذا الواقع تناول الندوي الأزمة من جانبها الفكري والعلمي الذين تعرضوا للحمود والتقليد وتعطيل فريضة الاجتهاد وإهمال العلوم التجريبية والاشتغال بالمباحث ما بعد الطبيعة والكلامية على حساب ذلك، وهنا الندوي يركز على عدم وجود توازن وتوفيق بين الجانب الروحي وبين العلوم التجريبية، فكان الاهتمام بأحدهما على الآخر، لذا طرح الندوي هذا الأمر في قوله: «...وإذا أردت أن تعرف مقدار عناية الشرق الإسلامي بالناحية الروحية ونسبتها إلى الناحية العلمية والتجريبية فقلنا أن كتاب الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي مثلاً وبين أكبر كتاب في الطبيعيات والحكمة، ترى فرقاً هائلاً في ضخامة المادة والعناية بالموضوع والجهاد في سبيله، وبذلك تعرف ذوق الشرق الغالب عليه»⁽²⁾.

فكان ما ذكرناه سالفاً من قبيل مقتطفات جد مختصرة مما طرحه الندوي من أزمت الأمة الإسلامية وتفصيلها الدقيقة المتشعبة، وقد كان غرضنا في ذلك أن الندوي انصرف إلى نقد الحضارة الغربية بعد أن استوفى العالم الإسلامي نصيبه من ذلك، بل وقد اعتبر في بعض الأحيان أن العالم الإسلامي وتضييعه لوظيفة النبوة والدعوة إلى الله والوصاية على الإنسانية بالمنهج القرآني من أبرز الأسباب التي ساهمت في ضياع العالم الغربي.

ثانياً: أزمت الحضارة الغربية

في الوقت الذي انحطت فيه الدولة العثمانية وولت القهقري، كانت في الكفة المقابلة الدول الأوروبية التي أفادت وأدركت المعوقات الكبرى في نهضتها، فسارت سيرا حثيثاً نحو استدراك ما أضعته في عصر الظلمات وطغيان الانحراف الكنسي وجرائمه ضد شعبه، وقد تجلت هذه البقطة في العديد من المظاهر نذكر منها:

أ- هيمنة الفكر المادي على أوروبا

قد كان حال أوروبا آنذاك أن طغت عليه الرهبانية العاتية، حتى فقدت النصرانية الملقحة المشوهة روحها وجمالها، فكانت عاجزة عن تعديل المادة الجاحمة، كما منيت بالفساد في مراكزها الدينية، فشقيت أوروبا برجال الدين الذين جنوا على الكتب الدينية المقدسة ودسوا فيها معلومات بشرية، كما عملت الكنيسة على اضطهاد العلم، ما أدى بالغرب أخيراً إلى اختيار المادية وما تتضمنه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر نفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وأدب وسياسة وحكم...⁽³⁾ بعد أن فشلت الرهبانية بلوغها المستوى الذي تطمئن إليه شعوبها وتحقيق الوسطية ما يلي حاجات النفوس المعنوية والمادية.

وبعد أن اتجه الغرب إلى المادية، تمّ لها جنود و«نخس الكتاب والمؤلفون والأدباء والمعلمون والاجتماعيون والسياسيون في كل ناحية من نواحي أوروبا ينفخون صور المادية، وينفثون بأفلامهم سمومها في عقل الجمهور وقلبه، ويفسرون الأخلاق تفسيراً مادياً، تارة ينشرون الفلسفة النفعية وطورا فلسفة اللذة الأبيقورية»⁽⁴⁾، لتصبح بذلك المدنية الغربية ورثة الحضارة الرومانية ووثنياتها، فهي لم تأخذ من النصرانية -التي اعتنقتها لأسباب سياسية قاهرة- سوى الطلاء الخارجي فحسب، ثم إن المدنية الأوروبية لا يزال في واقعها وثني مادي لا تؤمن بغير القوة⁽⁵⁾.

و«أصبحت المادية لأسباب حتمية طبيعية وتاريخية وعلمية؛ شعار الحضارة الغربية والحياة الغربية منذ عهد عريق في التاريخ، ولم تردها النشأة الجديدة والنهضة العلمية والسياسية في أوروبا إلا حدة وقوة...، وقد بلغ النظر المادي والفكر المادي في أوروبا درجة الاستغراق فيه والفناء ونسيان ما سوى القيم المادية، وقد جعل "كارل ماركس" مؤسس الفلسفة الشيوعية النظام الاقتصادي روح الاجتماع وأن الدين والحضارة وفلسفة الحياة كلها عكس لهذا النظام الاقتصادي...، وبذلك يكون قد جحد جميع نواحي البشرية غير الناحية الاقتصادية ولم يعر غيرها شيئاً من العناية، ولم يقيم للدين والأخلاق

¹: الندوي، غارة التثار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1393هـ، 1973م، ص8.

²: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص123، 124.

³: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص150-159.

⁴: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص160.

⁵: ينظر: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص43.

والروح والقلب وحتى العقل وزنا وقيمة، ولم يعترف أن أحدا منهما كان عاملا من عوامل التاريخ، وأن جميع الحروب والثورات في التاريخ لم يكن إلا ثارا لبطن من بطن، وجهادا في سبيل تنظيم جديد للنظام الاقتصادي وطرق الإنتاج الصناعي...»⁽¹⁾.

ب- الجنسية والوطنية في أوروبا

بعد انحلال النظام الديني وانتعاش النعرة القومية، أصبحت أوروبا معسكرا واحدا ضد الشرق كله، وخطت خطا فاصلا بين الغرب والشرق أو بين أوروبا وبين ما سواها من القارات والأقاليم، والجنس الآري وبين ما عداه من أجناس البشر، وقد اعتبرت أوروبا أن الجنس الآري هو الجنس الوحيد الذي يعود له الفضل على كل نسل وشعب وثقافة وحضارة وعلم وأدب، وأنه خلق ليسود ويحكم، ويبقى ويزدهر، وغيره خلق ليخضع ويدين، ويموت ويضمحل... وهذا ما امتاز به اليونان والروم في عهدهم... فسرت روح الجنسية والعصبية في أوروبا وخاصة في ألمانيا، ولا ينفي هذا أيضا على روسيا العالمية بأقل حساسة للعصبية والوطنية من منافسها القديم ألمانيا⁽²⁾.

أدى داء الجنسية والقومية إلى الإحساس بالتفوق العنصري على شعوب العالم الأخرى وخاصة الضعيفة منها، ولكي يتم تعزيز هذا الإحساس لجأ الغرب إلى تثبيت مبادئه ومصالحه المادية على حساب الشعوب واستعمارها، استنادا إلى القوة.

ج- الاكتشاف والاختراع في الصناعات

يرى الندوي أن من جملة المزايا التي منحها الغرب للإنسانية الاكتشافات والاختراعات والإبداعات في الصناعات مما أخرج البشرية من عناء وشقاوة الأزمنة الماضية، وكان توفير الوقت والقوة أعظم حسنات هذه الكشوفات والاختراعات.

إلا أن فشل المسيحية المخرفة في ربط الإنسان بخالقه وإنشاء علاقة صحيحة وتهذيب جشع النفوس ونهايتها؛ أدى إلى انقطاع الصلة بعالم الغيب، ففسى الإنسان هدفه في الوجود، وتحولت الدنيا إلى ساحة قتال، ومجزرة للإنسانية، وتكون فيها سيطرة لإهانة الإنسانية، وغلبة لأصناف الظلم والعبودية...⁽³⁾، وفي ذلك يكون الأوروبيون قد حرمو أنفسهم الدين، ولم يبق لهم من رادع من خلق أو وازع من دين، أو مرشد من علم إلهي يرشدهم إلى الجادة... فاعتقدوا بطبيعة هذه العقيدة أن ليس للإنسان وراء اللذة والراحة والانتفاع المادي والعلو في الأرض وبسط السيطرة والتغلب على أهلها والاستئثار بخيراتهم وحزائنها، مقصد وغاية، فاستعملوا هذه القوة والعلم في حصول اللذات والتغلب على الناس وقهر المنافسين، وتنافسوا في اختراع الآلات التي ينالون بها وطهرهم ويعجزون بها غيرهم⁽⁴⁾.

د- الحركة الاستعمارية

لقد ساعدت الدول الغربية تلك الاكتشافات الصناعية والاختراع وامتلاك القوة، في تأمين بلادها وتعزيز قوتها فلجأت إلى استخدام القوة لإخضاع البلاد الضعيفة والغنية بالثروات الباطنية، فبعد «اتفاقيات ومعاهدات دول الامبريالية عمدت التجزئة السياسية للشعوب الأخرى لرسم الخطط الاستعمارية لاستلاب إرادتها السياسية ونهب ثرواتها المادية لما تركته التجزئة من آثار حاسمة في إضعاف الكيانات المجزأة سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وكانت التجزئة في البلقان، وفي إفريقيا وفي الوطن العربي أمثلة ذلك»⁽⁵⁾.

وقد كان الدافع الصليبي من أقوى العوامل للحركة الاستعمارية، حيث قامت البابوية على تشجيعها، وتمثل هذا الدافع في متابعة المسلمين بعد طردهم من الأندلس، للاستيلاء على بلادهم وإخضاعها لحكمهم... ومما سهل ذلك جملة الرحلات التي قام بها الصليبيون في العالم الإسلامي، فدرسوا مداخله

¹: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 167-169.

²: ينظر: المصدر نفسه، ص 175، 176.

³: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق وتعليق: عبد المجيد الغوري، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط 1 1422هـ. 2001م، 3/369.

⁴: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 191.

⁵: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1993م، 1/687.

ومخارجه، ورجعوا إلى حكوماتها ليدلوها على طريقة التسلل إلى بلاد المسلمين، وأشهرها رحلة "ماجلان"، التي كان هدفها الاستيلاء على الأرض الإسلامية في الغلبين وإخضاعها لحكم الصليبيين⁽¹⁾.

أما واقع الحركة الاستعمارية الحديثة التي غمرت البلاد العربية والإسلامية فقد اختلفت عن سابقتها-من الحروب الصليبية- التي اعتمدت في حروبها على العالم الإسلامي على النهب والتدمير وزهق الأرواح وتدمير التاج الحضاري للمسلمين، ولم يكن هجومها مدعماً بحضارة أو عقيدة أو دعوة، إنما كان هجوماً عسكرياً مدمراً، ولم يفكر قادتها في حين من الأحيان أن يقدموا بديلاً للدين الإسلامي أو الحضارة الإسلامية، أو إبدال حضارة بحضارة، ودين بدين، وقانون بقانون⁽²⁾.

أما الاستعمار الحديث فكان مختلفاً في الرؤية والمنهج عن السابق؛ إذ رافق في حملاته الاستعمارية على العالم الإسلامي فكره وثقافته ورؤاه وتصوره للحياة، فقدم ذلك كبديل قانع للثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والتصورات والرؤى التي سعى بكل قواه إلى محاربتها.

المحور الثاني: الحضارتين في ظل العلاقة

أ- ماهية الحضارة الغربية في فكر الندوي

تتجلى ماهية الحضارة الغربية في فكر الندوي في أنها «مجموع عقائد ومناهج فكرية، وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية، واجتماعية، وتجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوروبية التي تزعمت هذه الحضارة في رحلتها الطويلة، وكانت مظهر تقدم العلم البشري وعلوم الطبيعة، وعلم الآلات والعلوم الرياضية، ومجموع نتائج جهود علماء وباحثين عبر القرون»⁽³⁾.

ب- صورة الحضارة الغربية في فكر الندوي

تتلخص صورة الحضارة الغربية⁽⁴⁾ في فكر الندوي في أنها حضارة ميكانيكية مادية محضة، لا هدف لها، فهي لا تحمل للإنسانية رسالة⁽⁵⁾، ومن أزماتها أن أهملت الجاني الروحي -عالم القلب والنفس- وأهملت جانب الأخلاق، وقامت على المنفعة المادية، وطغى ذلك على كل تصوراتها للحياة، فأدى بها الوضع أن أصبحت حضارة السامة والقلق والاضطراب⁽⁶⁾.

ج- صفة التدجيل في الحضارة الغربية

تشترك جملة المعاني التي تشتملها كلمة التدجيل في التغطية⁽⁷⁾، وسمي الدجال بذلك للتصويه والكذب وتغطية الحق بالباطل والتلبس على الناس، وصفة الدجل هي الشعار الذي يعرف به، ويتميز به عن سائر دعاة الشر والإفساد، والكفر والإلحاد، وهو القطب الذي تدور حوله شخصيته، ودعواته، وأعماله، وتصرفاته⁽⁸⁾.

¹: ينظر: محمد قطب، واقعا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1997م، ص177.

²: ينظر: الندوي، واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة، مصر، ط1، 1418هـ، 1997م، ص54.

³: الندوي، موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، 1383هـ، 1963م، ص10.

⁴: ينظر بالتفصيل ما كتبه عن الحضارة الغربية من كتابه ماذا خسر العالم بخطا المسلمين، مصدر سابق، ص141-172، 188-198.

⁵: ينظر: الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1405هـ، 1985م، ص28، 29.

⁶: المصدر نفسه، ص36.

⁷: جاء في لسان العرب دجل الشيء غطاه.. ودجلة: اسم نهر، من ذلك لأنها غطت الأرض بمائها حين فاضت.. وهو دجال: كذاب، وهو من ذلك لأن الكذب تغطية.. والدجال: المموه الكذاب، وبه سمي الدجال. والدجال: هو المسيح الكذاب، وإنما دجله سحره وكذبه.. ينظر ابن منظور، لسان العرب مادة: دجل، مرجع سابق، 237/11.

⁸: ينظر الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1997م، ص12.

وكان شأن الحضارة الغربية في العهد الأخير شأن الدجال الذي شاركته في صفة «التدجيل في كل شيء، والتلبس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البراقة الخلاب للقول على غير مسمياتها...، وهذا شأن الشعارات والفلسفات، التي حلت محل الأديان، وسحرت النفوس والعقول...»⁽¹⁾.

ويرى الندوي أن من آثار هذا التدجيل والتلبس أن التمس الأمر حتى على كبار الأذكياء ونوابغ العلماء، فتحمسوا لشعاراتها وفلسفاتها، من دون تمحيص لها، وتحديد مدى نجاحها وإخفاقها في مجال العمل والتطبيق، وإخضاعها للمقارنة الصحيحة المحايدة بين ما كسبته الإنسانية من ثمار هذه الشعارات والفلسفات وبين ما خسرت من جناياتها، من السعادة الحقيقية والحقوق الفطرية، وما كان هذا إلا من عمل التدجيل وسحره⁽²⁾.

أما السمة الثانية التي تلي التدجيل فهي الشغف الزائد بالمادة ورفاهية الحياة والحرص عليها وتزيينها والمبالغة فيها، ونفي كل ما وراء الحياة من مثل وقيم، وهي النقطة التي تلتقي عليها اليهودية مع المسيحية رغم ما بينهما من عداوة وتناقض⁽³⁾، وقد ساهمت التوراة المخرفة في ترسيخ هذه السمة من حيث تجردها من ذكر عالم الآخرة، والحث على الاستعداد لها، وإثارة الحنين والأشواق إلى نعمائها، والإشارة إلى قصر الحياة الدنيا وفنائها، وذم حب العلو، والإفساد في الأرض، لذا كان تاريخ اليهود تاريخ التنافس على المادة، والنهامة للثروة، والكفاح للسيادة السلالية، والكبرياء القومي، وذلك ما صدقته كتبهم الدينية المقدسة، وما صدر في أدبهم وشعرهم، وقصصهم وملاحمهم، ونبواتهم وكهانهم، ومن بطولاتهم ومغامراتهم، وحروب وثورات، وما نتج عنهم من فلسفات وأفكار، وإن وجد شيء من حياة الآخرة وشيء من التواضع والرحمة بالإنسانية فعلى وجه الندرة النادرة⁽⁴⁾.

المحور الثالث: موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية ونتائجها

أولاً: الموقف الأول

يتسم هذا الموقف بالرفض التام للحضارة الغربية وبكل ما جاءت به، موقف المعارض الثائر، المعتزل الحائد، فلا يقتبس منها شيئاً، ولا يسمح بدخول علم من علومها ولا الانتفاع بتجارها.

وقد وصف الندوي هذا الاتجاه بضيق في العقل، وتعطيل للقوى الفطرية، وهو جناية على الإسلام، وسوء تفسير للدين الذي يحث على استعمال العقل والتفكير في الكون واقتباس الصالح النافع، وإعداد القوة الممكنة دفاعاً عن الدين وإرهاها للعدو.

ومن نتائج هذا الاتجاه التخلف الشديد عن ركب الحياة، أن عاشت الأقطار الإسلامية البعيدة عن الحضارة الحديثة مضطربة مهددة بالغزو الحضاري والثقافي من الخارج، ذلك أن هذه الأقطار ضعيفة الشخصية فقيرة في قوتها المعنوية، فليس لجهازها الاجتماعي أو الإداري عقيدة راسخة قائمة على فقه وبصيرة، وليس لها المقدرة الكافية على تطبيق الحقائق والمبادئ الدينية الخالدة بالحياة المتطورة وحاجاتها الجديدة، والتمييز بين الصالح للاقتباس من الحضارة الجديدة ومتاحتها ومالا يصلح، وبذلك فهي عرضة لتسرب الحضارة الغربية وإن رفضت ذلك⁽⁵⁾.

ثانياً: الموقف الثاني

يتمثل هذا الموقف في الاستسلام والتقليد، والخضوع الكامل للحضارة الغربية وقبول عقائدها الأساسية ومناهجها الفكرية، وفلسفتها المادية، ونظمها الاقتصادية والسياسية التي نشأت واخترت في بيئة خاصة وتحت ضغط عوامل وحوادث خاصة⁽⁶⁾.

وقد تصدّر حركة التغريب والتحديث والتقليد جملة الشباب الذين درسوا في الغرب وتأثروا بالحضارة الغربية، ورجع أكثر هؤلاء الشباب إلى بلدانهم وقد أصبحوا طليعة الفكر الغربي ودعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وتصوراتها.

¹: المصدر نفسه، ص13.

²: المصدر نفسه، ص14.

³: المصدر نفسه، ص17.

⁴: المصدر نفسه ، ص18، 19.

⁵: الندوي، موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ، ص11-16.

⁶: المصدر نفسه، ص21.

وهذا التقليد للغرب يرجع إلى «المسلمين الذين رأوا القوة المادية والتقدم في الغرب، ثم وازنوا بينهما وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم الخاصة، ولقد كان من جهل المسلمين لتعاليم الإسلام -وذلك راجع في الأكثرية إلى ضيق ناحية التفكير في أولئك الذين نسميهم الفقهاء وإلى انصراف القادة والزعماء إلى ملاذهم ومنازعاتهم الشخصية عن خدمة أمتهم وشعوبهم- أن نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون أن يسايروا الرقي الذي نراه في سائر أنحاء العالم ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب»⁽¹⁾.

ومن أثر الحضارة الغربية أن أضعفت «الثقة في نفوس الطبقة المثقفة الناشئة بصلاحية الإسلام وقدرته على مسايرة العصر وتطوراتها، وتحقيق مطالبه، وقد كان ذلك بسبب تلقيها التربية الغربية وثقافتها، التي أحدثت الردة الفكرية والحضارية التي اكتسحت العالم الإسلامي»⁽²⁾.

وقد ساعد على ذلك الفكر الإسلامي المتأزم، الذي كان «عاجزا عن إدراك حقيقة الظواهر، فلم يكن يرى منها سوى قشرتها؛ وأصبح عاجزا عن فهم القرآن، فاكتمى باستظهاره، حتى إذا انحالت منتجات الحضارة الأوروبية على بلاده اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالاً، دون أن يفكر في نقدها، وإذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال، فإن قيم هذه الأشياء قابلة للمناقشة، ومن ثم وجدنا المسلم لا يكثر بمعرفة كيف تم إبداع هذه الأشياء، بل قنع بمعرفة طرق الحصول عليها، وهكذا كانت المرحلة الأولى من مراحل تجديد العالم الإسلامي، مرحلة تقتني أشكالا دون أن تلم بروحها؛ فأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، زاد في كمية الحاجات دون أن يعمل على زيادة وسائل إشباعها، فانتشر الغرام بكل ما هو (مستحدث) في جميع طبقات المجتمع»⁽³⁾.

وعلى هذين الموقفين تبين أن العالم الإسلامي كان في مشكلة كبيرة تجاه الحضارة الغربية الحديثة، موقف متشبث بالقدم ولم يدرك أن ليس كل قدم يستحق البقاء! وموقف متطلع إلى كل جديد ولم يدرك أيضا أن ليس كل جديد يستحق الاحترام!⁽⁴⁾.

ثالثا: الغزو الفكري المؤسس

لا يعتبر الندوي الغزو الفكري مجرد تأثر دعاة التغريب -الذين كانوا وسيلة خدمت أهداف الغرب العميقة البعيدة- ببريق الحضارة الغربية الحديثة، وإنما يتعداه ليعتبره تصميمًا وسعيًا من الغرب «للاستيلاء على الثروة التي كانت تحرك العالم الإسلامي فكريا ومعنويا، وتدفعه بطريق يهدد الغرب، والتي كانت مصدر قلق واضطراب له طيلة قرون...، وقد خطط تخطيطا دقيقا لإبعاد هذا العالم عن منطلقه، وصرفه عن استئناف دوره القيادي، واستخدم فيه ذكاءه وطاقاته العلمية والسياسية، بتزامن وثيق مع اليهودية ووكالاتها»⁽⁵⁾. وأبرز الأهداف التي يسعى الغرب لتحقيقها امتلاك زمام القوة والهيمنة والاستلاء والاستكبار، وذلك ما تجلّى في حملاتها الاستعمارية ومحاولة إخضاع كل العالم بشرواته لنزعاتها المادية، وما كانت الحرب العالمية الأولى والثانية إلا ثمرة من ثمار هذه النفسية المتعالية، فهي بذلك حضارة بلا هدف تحمل في ذاتها أسباب الأفول والانحيار.

رابعا: الدور الذي لعبته اليهودية العالمية في الحضارة الغربية

يعتبر الندوي أن اليهود -مؤخرا- هم الذين يملكون قيادة الحضارة الغربية وتوجيهها في صالحهم، وقد أثروا في الأدب والتربية، والسياسة والفلسفة، والتجارة، والصحافة، ووسائل التوعية والإعلام، حتى أصبحوا العنصر الفعّال الرئيس في قيادة الحضارة الغربية التي ظهرت في بيئة مسيحية، وفي شعوب آمنت بالمسيح، واحتضنت اسمه منذ أمد طويل...، ويؤكد الندوي على أن «المتعمق في الحوادث الأخيرة، والمطلع على مدى نفوذ اليهودية العالمية في المجتمع الغربي، أن هذه الحضارة وما تحوي من علم وفن، ستبلغ نهايتها السلبية، وتصل إلى ذروتها في قوة التدمير، والهدم والإفساد، والتلبس والتدجيل، على أيدي اليهود الذين مكّن لهم الغرب المسيحي -بغفلة منه وجهل بمراميهم البعيدة وطبيعتهم الحاقدة- كل تمكين، وأتاح لهم كل فرصة لم

¹: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص 81.

²: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 267/1.

³: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1423هـ، 2002م، ص 66.

⁴: ينظر: محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 103.

⁵: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 4.

يكونوا يحملون بما قبل قرون، وكانت في ذلك أكبر محنة للإنسانية وأكبر خطر على العالم، فضلا عن العرب، فضلا عن المنطقة المحدودة التي يجري فيها هذا الصراع الحاسم»⁽¹⁾.

وينبه الندوي على أن تجربة الحضارة الغربية وسلوكها مع الأمم الإسلامية عن طريق الحركات والأفكار التي غزت بها أوروبا الشرق الإسلامي قامت على العناصر التالية⁽²⁾:

1- الوعي والشعور في الغرب بخطر الإسلام، وتهديده وعزمه على وقف سيره إلى أوروبا، وهي النفسية التي أوجدتها الكنيسة الأوربية وسخرت لها وسائل الإعلام والتعليم، وشاركت اليهودية في هذه المشاعر وقامت بدورها.

2- التقدم العلمي والصناعي لأوروبا، والتقدم الحضاري نتيجة العلم الذي يقوم على أساس الانتفاع المادي.

3- مطاعم الاستعمار، والشعور بتفوق الجنس الأبيض، وهي العقلية التي ورثتها أوروبا المعاصرة من التاريخ اليوناني...، فيمارس الغرب بمنتهى القسوة والصرامة لترسيخ استيلائه على الأمم المستضعفة وإبقائها تابعة مستضعفة.

4- استغلال العلم للأغراض السياسية، وساهم الاستشراق فيه كوكالة للكنيسة والاستعمار الأوربي، الذي قام بنشر فلسفة تفوق الغرب، وبث الانهزامية في الأمم التابعة للغرب، وقلب موازين البحث والتحقيق.

وقد ساعد هذا الغزو «تدهور البلاد الإسلامية في عصر الانحطاط وعدم استقامتها في الاحتفاظ بروح الدعوة والجهاد التي كانت تدفعه، والجمود والتحجر في العلم والفكر والاجتماع والوهن في نظام الدفاع، فسرت فيه روح الانهزامية ومركب النقص والتردد، فلم يتمكن العقل السليم من الوقوف أمام الغزو الأوربي العلمي والعسكري موقف صرامة وتحليل بحرية القبول والرفض، وصلاحية التميز»⁽³⁾. فأصيب المسلمون بالشيخوخة والضعف، فلا سعة في العلم ولا ابتكار في التفكير والإنتاج، ولا عبقرية في العقل، ولا حماسة في الدعوة، ولا عرضا جميلا ومؤثرا للإسلام ومزاياه ورسالته إلا النادر القليل⁽⁴⁾.

وقد قاد هذا الغزو أخيرا أمريكا التي اجتمعت مع «إسرائيل الصليبية والصهيونية رغم وجود أكبر تناقض بينهما على أن الإسلام وحده يتحدى نظامهما السياسي والفكري، ويحبط خططهما للاستيلاء والسيطرة على العالم كله»⁽⁵⁾. ويؤكد الندوي على أن هذا الأمر-أي اتحاد أمريكا بقواها ووسائلها الهائلة مع إسرائيل ذات الذكاء والشطارة الفائقة ضد العالم الإسلامي- هو «الخطر الأخطر الذي يندرننا اليوم ويتحدانا في عالمنا المعاصر، من حيث شموله وعمقه ونتائجه البعيدة المدى...، وتركيزه على نقطة واحدة فقط وهي محاربة الإسلام من وراء ستار السياسة والثقافة والعلم، ومن خلال وسائل الإعلام، وذلك بترسيخ الظن في عقول الناشئة والشباب بأن الإسلام لم يعد صالحا للعصر الذي يعيش فيه الإنسان وسائل العلم والتقنية الحديثة، ويعيش التقدمات الهائلة في جميع مجالات الحياة ومناحي الحضارة...»⁽⁶⁾.

وقد عادت البلدان العربية والإسلامية «هدفاً لأمريكا، وإسرائيل، ونجح هجومهما وغزوها عقليا وفكريا إلى حد كبير، حتى إن الطبقة المثقفة التي ترعرعت في أحضان الثقافة الغربية التي تعتلي بصفة عامة عرش الحكومة قد أصيبت بمركب النقص واليأس من مستقبل الإسلام، وتنصدر هذه البلدان العربية مصر، والجزائر، حيث قام هناك صراع فكري وعاطفي بينها وبين الشعوب المسلمة التي قامت بحركة تحرير البلاد، وضحت بالغالي والنفيس، وقد

¹: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص 16، 17.

²: ينظر: الندوي: المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 5، 6.

³: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 3.

⁴: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط 2، 1413هـ، 1992م، ص 13.

⁵: الندوي، أوروبا أمريكا وإسرائيل، مصدر سابق، ص 6.

⁶: الندوي، العالم الإسلامي وأخطار جديدة، ودور ندوة العلماء في مقاومتها، مجلة البعث الإسلامي، العدد الثامن، مجلد 41، جمادى الأولى 1417هـ، سبتمبر - أكتوبر 1996م، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، الهند، ص 4.

تصدر حركة التحرير العلماء والمشايخ وخريجو المدارس الدينية العربية، وزعماء الحركات الإسلامية، وقد أصبح هؤلاء العلماء والدعاة أكبر خطر للبلاد وأمنها وسلامتها»⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى «سعى الغرب لإضعاف وازع العقيدة والإيمان و تدمير الأخلاق الفاضلة ونسف تقاليد المجتمع الكريمة بأساليب ووسائل تبدو بريئة سخية وفي حقيقتها أئمة مجرمة، فسعى عن طريق اليونسكو، وراعته، والاستعانة بالخبراء الأجانب في التربية، والثقيف، والإعلام، وبالمدرسين الأوربيين، وعلماء التربية والتعليم الغربيين، وعن طريق تلك الموجة العارمة الصارمة من كتب وصحف ومطبوعات؛ وأخيرا عن طريق تعميم التلفزيون»⁽²⁾. وعن طريق هذا الأخير سعى الغرب إلى إثارة الشبهات والفوضى الفكرية في المجتمع الإسلامي، وتقوية الرغبة إلى الرفاهية، وأسباب الترفيه والتسلية ومباهج الحياة، وزخارفها، وتشجيع التبرج، والسفور، والتعليم المختلط، وصناعة الأفلام، والإشراف عليها.

وقد أولى الندوي الأقطار العربية اهتماما بالغا في توجيه النصيح والتحذير من الآثار الوخيمة التي يخلفها زحف المدينة الغربية، وقد جعل شبه الجزيرة العربية أول الأقطار التي أولاهها حرصا واهتماما وتخوفا من وقوعها فريسة في مخططات الغرب و من خطر تسرب الفكر اليهودي وهيمنة القيم الغربية على الجزيرة التي تؤدي بدورها إلى «نشوء جيل ليس بينه وبين الحرم ومسجد الرسول ورسالتها تجاوب وانسجام، وتفاهم، واتفاق، بل بينهما العكس...، وهو خطر لا يوجد له نظير في التاريخ الماضي»⁽³⁾، وقد انطلق في ذلك من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»⁽⁴⁾ و«لن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أترك فيها إلا مسلما»⁽⁵⁾، فالمعاني البعيدة التي حملتها الوصية النبوية من عدم اجتماع الدينين وإخراج اليهود والنصارى، تقتضي إبعاد أثرهم، وتغلغل حضارتهم وقيمهم في هذه الجزيرة، فلذا شملت هذه الوصية الحكمة والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث الثورة والردة على القيم والأخلاق، ويضعف الثقة في الإسلام»⁽⁶⁾.

خامسا: آثار الغزو الفكري في الأقطار الإسلامية

ترك زحف الحضارة الغربية ومدنيتها جملة من المآسي والأزمات، وقد كان ذلك نتيجة تأزم الفكر الإسلامي الذي كان فاقدا للحصانة، والتميز بين ثوابت الدين الإسلامي والمتغيرات التي تقتضيها الحياة وتطورها وما يستلزم من الاقتباس من الحضارة الغربية القوية المندفعة التي اكتسحت العالم الإسلامي، ومن بين جملة الآثار التي خلفها الغزو الفكري:

أ- وجود طبقة مضطربة: في العقائد، والأفكار، والسيرة، والأخلاق، مذبذبة بين الفكرة الغربية والإسلامية، تنسلخ أكثر الأحيان من كل ما يدين به مجتمعها، وأمتها وبلادها»⁽⁷⁾.

ب- الردة الفكرية في الأقطار الإسلامية

وقد تمثلتها الطبقة المثقفة التي قبلت الفلسفات الغربية الوافدة وحضعت لها، وقد اصطلح عليها الندوي اسم "الردة" لأن هذه الطبقة قطعت صلتها بالدين من دون قطع صلتها بالمجتمع الإسلامي، فهي تلح على العيش في مراكزها متمتعة بثقة هذا المجتمع، متمتعة بحقوقها داخله⁽⁸⁾، وقد آل حال هذه الطبقة داخل المجتمعات الإسلامية إلى اضمحلال عقيدتها الإسلامية بتأثير فلسفات الغرب وسياسته ونفوذه، والكثير من أفرادها ثائر على العقيدة

¹: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 226، 225/2.

²: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 273/2.

³: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص62.

⁴: أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم(26352).

⁵: أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم (219).

⁶: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، مصدر سابق، ص78.

⁷: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 199/3.

⁸: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص12.

الإسلامية، مؤمن بالفلسفات الغربية، وما تحويه من أفكار تصادم الدين⁽¹⁾، فينتصر لها ويتحمس لها ويحرص على نشرها وتنفيذها، ويريد أن ينظم الحياة على أساسها، وأصناف هذه الطبقة أربعة؛ منهم متسرع متهور، ومنهم حكيم متدرج، ومنهم منفذ بالقوة فإرض لها، ومنهم هادئ يزينها للشعب⁽²⁾.

ج- الاضطراب النفسي والقلق الفكري في الأقطار الإسلامية

بدأت طلائع هذا الأثر على شباب الأقطار الإسلامية خاصة، وقد كان من «أسباب الحيرة والقلق الفكري؛ التناقض بين ما ورثه الشباب وبين ما يعيشونه، وبين ما يلقونه تلقينا وبين ما يطلبه علماء الدين، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم، ومنوا به...، إنه يتلقى الصراع من مؤسسة الإعلام، ومن التلفزيون، ويسمع إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية الباقية من آثار التربية القديمة، ومن الصحافة التي هي "صاحبة الجلالة" تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف...، إنه يقع في أيديهم كتب علمية من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم، فيرون ما يشككهم في الدين»⁽³⁾.

و يرى الندوي أن المشكل الأخطر الذي يورثه هذا الوضع هو اليأس والقنوط من مستقبل الإسلام، الذي لا يزال يزداد⁽⁴⁾.

د- الصراع الفكري بين الطبقات الحاكمة والجماهير المسلمة

من الأزمات كذلك التي أورثها الغزو الفكري للنخب المثقفة والطبقات الحاكمة «التخوف الزائد من الانتفاضة الإسلامية إلى حد الحساسية الزائدة، حتى وصل ذلك إلى الخوف من العمل ببعض التعاليم الإسلامية فرديا، والظهور بالمظهر الإسلامي، والتكثير من الاستشهاد بالكتاب والسنة...، وقد أدى هذا التخوف بمقتضاه إلى إخضاع نظام التربية، ودور التعليم، ووسائل النشر والدعاية، والصحافة والإذاعة للتخلص والأمان من النفوذ الديني والغيرة الإسلامية، والمشاعر الدينية، إلى أن كان هناك مسوغ للإشفاق من الردة الدينية العقائدية، فضلا عن الردة الفكرية الثقافية؛ التي بدت طلائعها وأماراتها في كثير من البلاد الإسلامية المحكومة بالاستعمار الأجنبي، الإداري والثقافي»⁽⁵⁾، وكان من أسباب هذا العداء في الأقطار الإسلامية السير خلف النموذج الغربي وتنزيل تفسير أزماته مع الكنيسة ورجالها على الواقع الإسلامي، فظهر العداء للدين كأنه هو سبب تخلف المسلمين وتدهورهم، لذا حاولوا إقصاء الدين وتهميشه، وإبعاده عن الحياة⁽⁶⁾.

إن من أخطار وفود الحضارة الغربية التي يحذر منها الندوي، أن تنسلخ الأمة من خصائصها القرآنية والقيمية، وأن تذوب شخصيتها، وينهار كيانها الاجتماعي، ما يبعدها عن التفكير في استعادة مجدها وذاتيتها⁽⁷⁾، مما يجعلها هامشا على حضارة الغرب، ما يزيد من تكريس نفسية الاستكبار والتعالي التي تغمر الغرب، وتبقي الأمة في نكستها الحضارية.

ثانيا: دور الكتابات المستشرقين في تعميق الفجوة بين الحضارتين

ساعد ذبوع أفكار المستشرقين وانتشارها في الأوساط العربية والإسلامية جملة المثقفين الذين تتلمذوا على يد المستشرقين، أو ممن تأثروا بموجتهم، وقد عرض الندوي حالة مصر في ذلك، حيث أصبح كثير من الجامعيين متشبعين بروح الغرب يفكرون بعقله، ويرددون صدى المستشرقين، وينشرون أفكارهم ونظرياتهم⁽⁸⁾.

¹: ومن أهم هذه الأفكار نظرية دارون "النشوء والارتقاء أو الانتخاب الطبيعي" وهي تقوم على تنازع الأصلح للبقاء، وقد خضع لها أناس كثيرون في الشرق والغرب، وحتى في الأوساط الدينية. ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 253، 252/3.

²: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص 23.

³: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 146/1.

⁴: ينظر: المصدر نفسه، 328/1.

⁵: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 289/1.

⁶: ينظر: محمود كيشانه، الإسلام والغرب عند أبي الحسن الندوي، العتبة العباسية المقدسة، بيروت، ط 1، 1440هـ، 2019م، ص 161.

⁷: الندوي، المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 4.

⁸: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 106.

واتسعت بذلك نطاق حركة التشكيك عن طريق كتاب مصر وأدائها في العقائد الدينية والمقررات التاريخية، والشخصيات الإسلامية، والقيم الخلقية، والأسس الاجتماعية، والآداب العامة، وذلك ما حوته مضامين بحوثهم وكتابتهم، وكانت من وراء هذه الحركة أغراض منها حب الشهرة، ورواج بضاعتهم في السوق، والريخ المادي، أو التسرع في نشر ما يخالج خواطرهم ويحاك في صدورهم، وقد ساعد على ذلك حركة النشر السريعة، ووجود عدد كبير من دور النشر والطباعة.

وبينه الندوي على إستراتيجية كتابات المستشرقين وآلية عملها، فعملها يقوم على إبراز مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية، والحضارة والتاريخ الإسلامي، ومجتمعه ومدنيته، وديانته، ويمثلونها في صورة مروعة مضخمة ويعرضونها للقراء...، لأجل غاية سياسية أو دينية، فيثيرون بذلك شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية، ويحدثون بأسا عن مستقبل الإسلام، ومقتنا على حاضره، وسوء ظن بماضيه، وذلك تعزيزا منهم لفكرة "تطوير الدين" و"إصلاح القانون الإسلامي"، وقد ظهرت حذاقهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه الإسلام⁽¹⁾، وخاصة ما اتخذته الآن أمريكا عن طريق الإعلام في تشويه الإسلام في متخيل الرجل الغربي، استغلالا منها «لظاهرة التشدد والعنف اللذين تمارسها بعض الجماعات باسم الإسلام...، أو إلى وجود بعض النظم المستبدة التي تستر الاستبداد بشعارات ورموز الإسلام»⁽²⁾، وهو ما دفعها إلى التوجه إلى الإسلام واعتباره العدو الأكبر الذي حل محل "إمبراطورية الشر الشيوعية" والعائق في تحقيق أغراضها العالمية، والهيمنة الثقافية والاقتصادية⁽³⁾.

ومن جملة القضايا التي تناولها هؤلاء في كتابات المستشرقين: بشرية القرآن، وفصل الدين عن السياسة، وأن الإسلام دين لا دولة، والدعوة إلى العلمانية، والتشكيك في مصادر العربية الأولى، وفي قيمة الحديث العلمية، وإنكار مكانته وحجته ومكانة السنة في الإسلام، والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، والدعوة إلى السفور، وكون الفقه مقتبسا من القانون الروماني، ومتأثرا به في روحه وسبكه، والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، وتمجيد العصر الفرعوني، والتغني بحضارته وأدبه وأمجاده، والدعوة إلى العامة والتأليف فيها...، والدعوة إلى القومية العربية والاشتراكية المادية...، فترى الفكر الغربي ممدودا على العقول العربية وأقلامها⁽⁴⁾، والاعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والتحقيق، ومعاملة علماء المسلمين على شاكلة رجال الكنيسة، وإعطاء المرأة حق الإسهام في جميع أمور الحياة، وجعل الحجاب علامة استبداد الرجل بالمرأة، والاعتقاد أن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين في العصور المتوسطة، ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي المحدود⁽⁵⁾.

والخطر الأكبر أن مثل هذه الكتابات تلتقفها الطبقة المثقفة والناشئة في شغف ونهما وهي في طور المراهقة الفكرية، ولم تشبع بفهم ماهية الإسلام ومقاصده وروحه، فأصبح «الجهل بالإسلام هو الفرصة الوحيدة لانتقاصه والهجوم عليه، وهو المناخ الوحيد الذي تستنبت فيه الأكاذيب والتقوليات الباطلة على الإسلام...، فهذه الأكاذيب التي تنامي في هذا المناخ وتلتصق بالإسلام خلال غيبوبة المسلمين أو أكثرهم عن إسلامهم بحاجز الجهل بحقيقته هي التي تخلق عوامل الاشتزاز منه والعداوة له»⁽⁶⁾.

ثم إن الفكر الاستشراقي استغل الجمود الفكري في مواكبة الحياة وأتيحت له فرصة ترسيخ دعوة تحديث الدين وإصلاحه التي كانت جوهر دعوة المستشرقين، وفي ذلك توجه تقييهم للدين الإسلامي على النحو التالي⁽⁷⁾:

1- الإسلام كمصدر لتوجيه الحياة فقد صلته بالمجتمع، واتسعت الفجوة بينهما، وتخلف عن مجارة تطور الحياة بفعل العوامل الخارجية الثقافية والسياسية والاقتصادية.

¹: ينظر: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ، 1986م، ص15، 16.

²: محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م، ص136.

³: المصدر نفسه، ص136.

⁴: المصدر نفسه، ص107.

⁵: المصدر نفسه، ص181.

⁶: محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، (دط)، (دت)، ص99، 100.

⁷: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1395هـ، 1975م، ص171، 172.

2-الإعراض عن تنفيذ تعاليم الإسلام أملتته الضرورة الاجتماعية تحت ضغط الحياة المتجددة التي لم يستطع الإسلام أن يكييفها في ضوء تعاليمه، ولم يستطع أن يلائم بينها وبين تعاليمه.

3-على المسلمين أن يسايروا العالم الغربي الحديث، وأن يتطوروا بالإسلام نفسه كدين.

4-لكي تتطور الجماعة الإسلامية وجب عليها أن تسير وفق المثل الغربية وتتفاعل معها في بيئتها الشرقية.

إن العامل الذي ساعد على ذبوع أفكار المستشرقين -بسبب الجمود في البحث والتحقيق والتأليف- اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين في المواضيع الإسلامية من زمن طويل، وفي جملتها⁽¹⁾؛ كتاب ر.أ. نكلسن في "تاريخ آداب العرب" (ALiteraryHistoryArabs) وكتاب الدكتور حتي عن "تاريخ العرب والإسلام" (History ofArabs) وكتاب كارل بروكلمان في "تاريخ الآداب العربية" (CeschIrderArabichenLiterature)، وكتاب جولد تسيهر في "العقيدة والشرعية في الإسلام" (Introduction to IslamicTheology and Law)، وكتابه "دراسات إسلامية" (MuhammedanischeStudien Halle)، وكتاب شاخت في "مصادر الفقه الإسلامي" (The OriginsMohammadans Jurisprudence)، وكتاب و.س. اسمث في "الإسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته"، (Islam In Modern History)، وكتاب A.R.Gibb "وجهة الإسلام"، (Whither Islam)، وكتب مونتهجيري وات في "السيرة النبوية" (محمد في مكة Mohammad In Mecca) ومحمد في المدينة Mohammad In Madina) و"محمد كنيّ وقائد سياسي" (Mohammad, Prophet and Statesma).

المحور الرابع: الحضارة الغربية ومنهج التعامل معها في فكر الندوي

أولاً: خصائص الحضارة الغربية

قبل أن يؤكد الندوي على خطر تأثير الحضارة الغربية على الحياة الإسلامية، وحتى لا يكون من المندفعين المتحمسين من غير اتزان، فقد كان على بيئة ومعرفة عميقة لطبيعة الحضارة الغربية وتطورها، وما شمله تاريخها من أحداث، وعقائد وانحرافات، ومراحل ذلك، إلى أن ظهرت في صيغتها الأخيرة في هذا العصر، ومن ذلك جاز أن يعطي أحكاماً كانت قائمة على دراسة مشاهدة ومعايشة، وقد اجتمعت عناصر تركيبها من ثلاثة عناصر: "مسيحية محرفة"، و"يهودية ثائرة"، و"عقلية يونانية مادية"⁽²⁾.

وقد حملت هذه العناصر الكثير من الصفات التي تشكل مهددات لمصير الإنسانية، وأبرزها، إنكار عالم الغيب، حب الاستعلاء وإنكار حق المساواة بين بني البشر، السعي إلى امتلاك أسباب القوة، الثورة على القيم والأخلاق⁽³⁾، فكل هذه الصفات هي التي أسست لمفهوم الأمة في الرؤية الغربية. وعلى حدّ تصور الندوي أن هذه العناصر التي تركبت منها الحضارة الغربية لا يمكن أن تكون لها رسالة للإنسانية، ولا أن تقود البشرية، وهي عاجزة عن التوجيه. ولا ينطلق الندوي في نقده للغرب باعتباره رمزاً للتقدم والاختراع وما توصل إليه من العلم والصناعة، بل إن الغرب في نظره حضارة، وواقع الأمة الإسلامية بالنسبة للغرب أوسع من اقتباسات الآلات، والمخترعات، والتجارب المفيدة في الحياة العامة، بل هي أمام مشكلة اقتباس من حضارة تشتمل الأفكار، والقيم، والمفاهيم، وتخطيط مدني شامل، وأساليب حياة لا تتفق مع تعاليم الإسلام ومعاييره في الطهارة، والنظافة، والاعتدال⁽⁴⁾. كما لا يلغي الاستفادة من الغرب مما يعود على الأمة الإسلامية بالنفع والفائدة، وعليه فقد أبرز الغايات من الصناعات والمخترعات وما لها من ميزة في «التغلب على العقبات والصعوبات في سير الحياة، والانتفاع بقوى الطبيعة المودعة في الكون، وخيراتها وخزائنها المبتوثة فيها، واستخدامها لمقاصد صحيحة من غير غلو في الأرض ولا فساد»⁽⁵⁾. والعلوم والصناعات والاكتشافات لا ذنب لها، فهي خاضعة لإرادة الإنسان وعقليته وأخلاقه، وأغراضه.

¹: ينظر: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مصدر سابق، ص 18، 19.

²: ينظر: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 19.

³: ينظر: الأشراف جمال، أبو الحسن الندوي وبناء علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص 298.

⁴: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 273.

⁵: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 188.

أول خطوة يتطلبها التصميم الحضاري في فكر الندوي؛ تصحيح المفهوم لمعنى الحضارة الإسلامية، وما يقتضيه من استحضار فعالية الدين فيها، والأمر الثاني السعي الحثيث في كشف دجل الحضارة الغربية ومخططاتها، وأساليبها لإخضاع العالم الإسلامي، والمهيمنة عليه تحقيقاً لرغباتها ومصالحها وتكريساً لسيادة الاستعلاء والاستكبار العالمي. وبيان خطر كل ذلك على الأمة الإسلامية.

ثانياً: طبيعة العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في نظر الندوي

سعى الندوي في نقد الحضارة الغربية وبيان إفلاسها في قيادة الإنسانية وإسعادها، فقد نال الشرق أيضاً حقه من النقد لما أصيب به من دهشة الفتوحات الصناعية والعلمية، فلم يستطع أن يماثل الغرب في تطوراتهِ وإنتاجه العلمي، ولا أن يحافظ على شخصيته الإسلامية. وبعد أن أكّد كذلك على الدور السلبي للاستشراق وما أسهم من توسعة الفجوة بين الشرق والغرب، وما أحدثته جهوده العلمية والفكرية من تهميش الدين باعتباره القوة المحركة للشرق والباعثة على النهضة الحضارية، ففي المقابل جعلوا من الغرب النموذج الحضاري للإنسانية. وعلى كلّ، فقد اعتبر أن الأسرة الإنسانية ظلت منذ زمن طويل مشتتة بين الشرق والغرب الذين ظلّا منفصلين عن بعضهما لا يلتقيان إلا تحت نفع الشبهات والظنون، والإحن والأحقاد، فلا يلتقيان لصالح الإنسانية المشترك، ولبناء المدنية المثلى، ولا يتبادلان ما يختصان بهما من مواهب إلهية وعلوم مكتسبة، واستعدادات فطرية، وما أنتجها وما أبدعها على مرّ الدهور والعصور، من علم وفلسفة، وأدب، وحكمة، إلا نادراً وفي دائرة محدودة⁽¹⁾. ويتخذ الندوي بديلاً لشملة الأسرة الإنسانية، "لتجاوز ما أسماه الانقسام النكد بين الشرق والغرب، والعلم والإيمان، والوسائل والغايات، وهو ما تمثل في التلاقح بين الحضارتين، وتجلى هذا البديل في بعث روح الإنسانية، أو ما سُمّي به: "رسالة الإنسانية" وهي الحل الأمثل البديل عن الطريق المادي الخالص الذي سلكه الغرب، وعن طريق المسلمين الذين أساءوا إساءتين؛ فما استطاعوا إيصال رسالة الإسلام وجوهره إلى الغرب، ولا استطاعوا النجاح في الاكتشافات العلمية والصناعية. وأكّد الندوي أن شقاء الإنسانية في انفصال الغرب عن الشرق، وفي انفصال العلم عن الإيمان، وفي انفصال المؤسسات عن الأخلاق والغايات الصالحة، ولا تكون سعادة الأسرة الإنسانية إلا في اجتماع الإيمان الذي تضخم في الشرق قديماً مع العلم الذي تضخم في الغرب حديثاً. ولا يزال الإيمان ينتظر مرافقة العلم.

ورغم ما قدمه الندوي من رسم منهج يبيّن علاقة ترابطية تلاقحية بين المؤهلات الروحية والمادية بين الحضارتين، فإننا نجد أن هذا المخطط يبقى أملاً مرجوحاً أو مستحيلاً، استناداً إلى ما يراه الندوي من أن الغرب لا تصح نيته ولا تصلح طويته -أبداً- إزاء العالم الإسلامي، لأن الحروب الصليبية ورجال الكنيسة ودعاة النصرانية والمؤلفون في أوروبا الذين كانت تهمين عليهم النزعة الدينية والعاطفية أكثر من العلمية، أسهموا في إبعاد أوروبا عن الدين الإسلامي، وعن صاحب رسالته صلى الله عليه وسلم، وقدموه في صور ملؤها الخرافة والأساطير والتزييف، وأحاطوها بسياس من قصص وأمثال وأقوال حالت دون فهم شخصيته الإنسانية العالمية، والأمر الثاني؛ هو الخلفية التي تركها العثمانيون، الذين نظرت أوروبا إلى الإسلام من خلالهم باعتبارهم غزاة غابتهم الاستيلاء على كثير من بلادها...، ويقرّ الندوي رغم ما كان للعثمانيين من دور إلا أنهم أساءوا حقيقة قيادة العالم، ولا أن يقودوا النهضة الجديدة التي كانت تجيش في الغرب كما⁽²⁾، لأسباب ذكرناها من قبل. ويقول: «مع الأسف إذا أراد الغرب أن يقبل على هذا القلب ويتفتح به، ويوجه به الإنسانية لم يستطع، ولا يجد إلى ذلك سبيلاً؛ لأنه فقد المفتاح الذي يفتح به هذا القفل، والقفل لا يفتح بغير مفتاحه، وعجزت صناعته الدقيقة ومصنعه الهائلة، ونوابغه العباقرة عن أن يصنعوا له المفتاح الجديد، أو يكسروا له هذا القفل العنيد، لأنه قفل الإنسانية، لا قفل البنوك والمصانع، ولا قفلاً لصناديق والخزانات، لا يفتح إلا بمفتاح الإيمان، ومفتاح الإيمان الذي أتخفت به النبوة الإنسانية في الزمن القديم، مفقود أو مطمور في الغرب تحت ركام المدنية، أو أنقاض المعابد من قديم»⁽³⁾.

¹: ينظر: الندوي، حديث مع الغرب، ص 20.

²: ينظر: الندوي، حديث مع الغرب، مصدر سابق، ص 41، 42.

³: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكر الإسلامية، ص 247.

ولم يكن نقد الندوي للحضارة الغربية وماديتها نتيجة الانفعال أو كرد مقابل عمل الاستشراق، ولا تحديداً لـ: "الأنا" والدفاع عليها، وجعله النموذج المتعالي كما يطغى هذا الفكر على الكثير من المسلمين السطحيين، -وقد ثبت أن الندوي قد أقرّ بفشل المسلم في كلا الجانبين المادي والروحي- ولا الخطأ من "الآخر" باعتباره المفلس روحياً.

لعل منطلق رفض الغرب لفكرة الإيمان أو الغيب التي يركز عليها الدين الإسلامي في حياة الإنسان بسبب صورة الشرق الذي تكونت في مخيال الغرب، وما رسخته الأحداث التاريخية من فعل رجال الدين بالعلم والحياة، وفكرة رفض الغرب للخضوع للفكرة الغيبية وضرورة تلازم سير العلم في ركاب الإيمان. وهو ما دفع بالندوي إلى ضرورة مبادرة الشرق لسد هذه الثغرة التي ترسخت في مخيال الغرب، واعتباره الأمل الوحيد لإنقاذ الإنسانية وقيادتها نحو عالم الغيب بسير سليم. فهو لاشك مؤهل الإنسانية ليس لأنه بلغ منزلة إنسان الحضارة أو النموذج المخلص؛ بل لأن مصادر دينه لا تزال أصيلة تستمد منها القوة الدافعة للتغيير والإصلاح والنهضة الحضارية.

ومن ثمّ يطرح الندوي فكرته لحل الأزمة العالمية في قوله: "انتقال القيادة العالمية من الغرب إلى العالم الإسلامي"، ولم يقصد الندوي العالم الإسلامي بوضعه المتردي المفلس لأنه يرى أن العالم الإسلامي وعواصمه الآن أصبح حليفاً للجاهلية الأوربية وجندياً متطوعاً لها⁽¹⁾، وعلى هذا فإنه يقصد بالقيادة "الكاملة المثالية" التي تتولى قيادة ركب الإنسانية بفهم حقيقي للدين وجوهره، وتفهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ومؤهلات العالم الإسلامي للقيادة العالمية، فهي تقتضي الاستعداد الروحي من جديد، والاستعداد الصناعي والحربي، وتبوء الزعامة في العلم والتحقيق⁽²⁾.

ومن هنا يسعى الندوي -برؤية وسطية بعيدة عن التطرف والغلو- إلى تحقيق الوحدة بين أعضاء الأسرة الإنسانية، من منطلق رسالة الأنبياء التي تتجه إلى إنقاذ "الإنسان" والرحمة به والعطف عليه، من غير تمييز بين -الأنا والآخر- وإحداث الصدع بين الأسرة الإنسانية. وإن اقتضى هذا الأمر مبادرة الشرق وسبقه في إحراز هذا العمل الحضاري الإنساني.

ثالثاً: رؤية الندوي في التعامل مع الحضارة الغربية

ينطلق الندوي في التعامل مع الحضارة الغربية من إرساء مقومات الثبات يقول: «ليكن موقفنا موقف عملاق معتد بكرامته، معتز بشخصيته ورسالته، مستخدم لقلعه ومواهبه، حرّ في رفضه وقبوله، مقتبس منها ما ينفعه ولا يضرّه، ويطابق أهدافه ومثله، ولا ينافيها، ويضفي عليها قوة جديدة، ولا يوهن هيكله، وينخره، لا موقف قزم فقد الثقة»⁽³⁾.

ويرى الندوي أنه من الأمر الميسور الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة من المخترعات وما وصل إليه العلم الحديث، وبين ما تمتاز به الحضارة الإسلامية من جمال، وبساطة وطهارة، والحياة السوية المتوازنة، ولكن الأمر يقع في مدى تأقّب الحكومات الإسلامية واستعداد المجتمعات الإسلامية للتخطيط المدني المستقل، البعيد عن التقليد للغرب، والارتجالية ومركب النقص، مع توافر الذكاء، والأصالة، والإيمان بفضل التعاليم الإسلامية والحضارة الإسلامية التي تنبثق عنها وتقوم عليها، والاعتداد بشخصيتها، ويشرف على هذا التخطيط في الأقطار الإسلامية قادة الفكر، ورواد العلم⁽⁴⁾.

ثالثاً: مقومات التصميم الحضاري

تستدعي الانطلاقة الحضارية للأمة الإسلامية مجموعة مقومات تتطلب السعي في تحقيقها، ونجد الندوي سعى ل طرحها في إطار ما تؤهله قدراته العلمية والفكرية، سعياً لتخطيط حضاري لإخراج الأمة من انتكاستها الحضارية.

أولاً: التفكير العميق الواعي

أول مقوم يعتبره الندوي من أهم مقومات النهضة الحضارية هو التفكير العميق الواعي، وهو أبرز خطوة للتخطيط الحضاري السليم، والتفكير في شتى الجوانب ومحاولة تشخيص الأزمات القائمة وإيجاد الحلول الرشيد التي تقع مسؤوليتها على الفكر الإسلامي المعاصر، إلا أننا نجد الندوي قد ركّز ذلك في

¹: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص228-238.

³: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 245.

⁴: ينظر: المصدر نفسه، 1/ 274.

الجانب النفسي أكثر من الوقوف على المشكلات الخارجية، وقد تجلّى في إعادة الثقة بالنفس، والتخلص من دهشة الفتح الذي أصيب بها المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، ومركب النقص الذي هيمن على النفسية والعقلية والتفكير، ومن النظر إلى أنفسنا كمجموعات بشرية موزعة، مقادة، خاضعة للغرب مؤمنة بسيادته، فلم نفكر في معارضته، ومناقشة سيادته، وجدارته للسيادة، ومن ثم أصبحنا نعيش على هامش الحياة، كما أصبحنا نوازن قيمتنا بالغرب ومنتجاته، ومن ثم هيمنت على تفكيرنا فلسفة الأسباب⁽¹⁾.

وقد ركّز الندوي من خلال هذا التفكير على ما تملكه الشخصية المسلمة من مؤهلات من القوة المعنوية الإيمانية التي تستمدّها من دينها، وهي الحاجة الأساسية التي تنفذ الحضارة الغربية، ومن هنا لا ينفي الندوي قضية الاقتباس من الغرب، بل يعتبر المشكل القائم في فقدان الثقة بالنفس، وتناسي الأسباب النفسية والقوة الروحية التي تجلب التمكين.

ثانياً: القيادة القدوة والشخصية الكاملة الراشدة

رغم ما اعترف به الندوي من سهولة التوفيق بين الجوانب العلمية والمخترعات والصناعات وبين روح الأمة الإسلامية وما تدين به لله من الشرائع الإسلامية، فإن هذا الأمر يبقى مرهوناً بمدى وجود القيادة الراشدة التي تجمع بين الفكر الثاقب النير وبين العبقريّة، وقوة الإرادة، وفقه الدين، وبين الكفاءة في قيادة الأمة الإسلامية وبناء شخصيتها النموذج الذي تتعطش الإنسانية إلى ظهوره على أرض الواقع، وقد أثر الندوي أن يصطلح على هذه الشخصية الفذة المخلصة بـ: "العبقري العصامي"، وقد عدّ غياب هذه الشخصية الكاملة يشكل فراغاً كبيراً ومحنة ذكاء تواجه الأمة الإسلامية. أما دور هذه الشخصية فهو قائم على مواجهة الحضارة الغربية بشجاعة، وإيمان وذكاء، ويشق طريقاً بين مناهجها ومذاهبها، وبين فضائلها ورذائلها، ويرسم طريقاً يترفع فيها عن التقليد والمحاكاة، وعن التطرف والمغالاة، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر، والمفاهيم السطحية، معاملاً الحضارة الغربية بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها كمواد خام، ثم يصوغها صياغة قوية عصرية مؤسسة على الإيمان، والأخلاق، والتقوى، والرحمة، والعدل⁽²⁾. نجد في حديث الندوي عن العبقري العصامي الذي يمثل غيابه الفراغ الأكبر في الأمة الإسلامية أنه قد خصّه عند الذكر بصيغة التفرد، ولا ندري أقصد الندوي الحاجة إلى شخصية نموذجية كاملة تنصدر لهذا العمل الضخم وتنبري له بمفردها، أم قصد به جماعة تتكامل جهودها في ذلك؟، وعلى كل، فلا شك أن كلا الأمرين مطلوب توفرهما في الأمة، فمثل هذا العمل الكبير يستدعي تكامل المساعي بين هذه الشخصية والجماعة، كما أننا لا نظن أن الندوي قد أغفل هذا الأمر فلذا نجده قد ألح على ضرورة تواجده "الفريق المطلوب للبعث الإسلامي الجديد"، يتجرد عن المطامع ويخلص للدعوة ويتعدى عن حب المادة، واستغلال الحكومة لنفسه وعشيرته وحزبه، يحلّ العقد النفسية والعقلية التي أحدثتها الثقافة الغربية وأخطاء "رجال الدين" وسوء فهمهم له، يتسم بالحيوية العلمية والفكرية بمقابلاتهم وصدقاته ومحادثاته، ومراسلاته، ورحلاته، وإنتاجه من أدب إسلامي صالح مؤثر، وعلو أخلاقه وقوة شخصيته، وزهده وعزفه عن الشهوات، وتمثيله لأخلاق الأنبياء وخلفائهم⁽³⁾.

خاتمة:

بعد تطلّعنا على رؤية هذا المفكر بدا لنا سعة اطلاعه الدقيق على واقع الحضارة الغربية وما عليه من أزمات، ومن رؤية استراتيجية تطمح إليها، ومن مخططات تحكمها الهيمنة المادية في شتى الجوانب وضعف تأثير الشأن الديني والغيبي، وقد كان موقف العالم الإسلامي على سقين مختلفين منهم المخالف الراض لها بالكلية، ومنه المتزاي بين يديها دون تمحيص ورؤية مثبته، وأخيراً يعرض لنا الندوي من ضرورة إيجاد الحل الحضاري في تقويم العلاقة بينها وضم الأطراف التي ضلت متعادلة طيلة قرون طويلة، وفي ذلك عرض ضرورة تحقق الوجودي للعصامي الذي يحوي الصفات لتحقيق هذا المشروع الإنساني الجبار.

المصادر والمراجع

- ¹: ينظر: الندوي، إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، ص 93.
- ²: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 278/2.
- ³: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص 25.

المصادر:

أبو الحسن الندوي

- واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة، مصر، ط1، 1418هـ، 1997م
- محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق وتعليق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م
- موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، 1383هـ، 1963م
- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1405هـ، 1985م
- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ، 1986م
- مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1424هـ، 2004م
- ماذا خسر العالم بالخطأ المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، (د ط)، (د ت)
- الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1997م
- صلاح الدين الأيوبي البطل الناصر لدين الله، دار القلم، دمشق، ط3، 1400هـ، 1980م
- غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1393هـ، 1973م
- ردة ولا أبا بكر لها، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ، 1992م
- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م
- العالم الإسلامي وأخطار جديدة، ودور ندوة العلماء في مقاومتها، مجلة البعث الإسلامي، العدد الثامن، مجلد4، جمادى الأولى 1417هـ، سبتمبر - أكتوبر 1996م، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، الهند

المراجع:

- الشاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تحقيق: تقي الدين الندوي، تعريب: جاويد أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1434هـ، 2013م.
- محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، شركة نخضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط7، 2005م
- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م
- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م
- محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1997م
- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م
- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، (د ط)، (د ت)
- محمود كيشانه، الإسلام والغرب عند أبي الحسن الندوي، العتبة العباسية المقدسة، بيروت، ط1، 1440هـ، 2019م
- محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م
- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، (د ط)، (د ت)
- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1395هـ، 1975م